

القصور الاموية في بادية الشام توزيعها الجغرافي والهدف من بنائها

ابراهيم موسى الزقرطي

- سطحها إلى المناطق الطبيعية الآتية:
 - منطقة الوديان: تقع في القسم الشرقي منها، وسميت بذلك لوجود شبكة من الوديان وروافدها تنتهي في نهر الفرات، واهم هذه الأودية- من الشمال إلى الجنوب : الكور، الوعي، عكاشات، الغدف، الإبیض، وامتداد المنطقة العام شمالي غربي - جنوبی شرقي.
 - منطقة الحمام: تتكون من قسمين، يقع الأول إلى الغرب من منطقة الوديان وامتداده العام شمالي غربي - جنوبی شرقي، ويمتد من الجبال التدمرية في سوريا حتى سكاكا في السعودية. وتفصل منطقة الحرة القسم الثاني عن الأول. يوجد القسم الثاني في المنطقة الشرقية من الأردن ويمتد إلى السعودية، ومنطقة الحماد غنية بالمياه الجوفية.
 - منطقة الحرة: هي منطقة الطفوح والمقدوفات البركانية، تقع بين قسمي الحمام، وتمتد من قرب خان أبو الشامات (شرق دمشق) إلى شمال غرب سكاكا بنحو ١٠٠ كيلومتر.
 - مناطق جبلية متفرقة: تشمل عدة سلاسل جبلية وجبال متفرقة، منها: الجبال التدمرية الشمالية والجبال التدمرية الجنوبية، جبل البشري، جبل العرب، جبل العاذريات وجبل الطبيق. ويوجد في بادية الشام مجموعة من القيعان والسبخات، أهمها: سبخة الجبول وسبخة الموج في سوريا، قاع الأزرق وقاع الجفر في الأردن، خباري البساتين في العراق، منخفض السرحان في السعودية. ومعظم المراجع تعتبر غوطة دمشق ضمن بادية الشام.

مناخ بادية الشام

يسود المناخ الصحراوي في القسم الجنوبي من بادية الشام، والمناخ شبه الصحراوي (السهوب) في معظم البارية خاصة في القسم الشمالي والشمالي الغربي منها. وهو مناخ حار جاف صيفاً، بارد ممطر نوعاً ما شتاءً، معدل الحرارة السنوي من ٢٤-٢٦ درجة سلسليوس، يرتفع صيفاً إلى ٣٤-٣٨ درجة في توز، وينخفض إلى ١٨-٨ درجة في كانون الثاني.

ويتراوح معدل الأمطار من ٥٠-٢٠٠ ملم/السنة، وتتذبذب كمية الأمطار من عام إلى آخر. وتعاقبت على بادية الشام (وببلاد الشام عموماً) عبر التاريخ فترات تتفاوت من شديدة الجفاف إلى

القصر في اللغة العربية هو البيت الفخم الواسع ولا ينطبق هذا التعريف على جميع المباني الموجودة في بادية الشام والتي يطلق عليها قصر. لم يطلق بناؤاً هذه المباني عليها "قصر" إنما هو لفظ أطلق فيما بعد. ولفظ قصر يطلقه العامة على جل المباني القديمة، مثل قصر العبد (غرب عمان) وقصر النويجيس في عمان وقصر البنت في البتراء. وحالياً يطلق اسم قصر على منازل الملوك والامراء وبعض الحكام ومنازل الأثرياء المميز.

والبادية في اللغة العربية هي فضاء واسع فيه المرعى والماء، وينطبق هذا على معظم بادية الشام قديماً، وأما الصحراء فهي أرض فضاء واسعة فقيرة بالماء. ويتوافق هذا التعريف مع معظم بادية الشام حديثاً. يتناول هذا البحث التوزع الجغرافي للقصور الاموية في بادية الشام، علماً بأن للاموبيين قصوراً في مناطق مختلفة من بلاد الشام، متباعدة في الفروق الطبيعية من مناخ وتضاريس، مثل غور الأردن والمرتفعات وسهل البقاع والسهل الساحلي الفلسطيني، وفي مراكز عمرانية مثل دمشق، عمان، القدس، الرملة، مكة، عنجر، شقيراً (قرب الكرك). ويطلب ذلك التعريف ببادية الشام وظروفها الطبيعية. كما يتناول البحث الأهداف والأسباب التي وردت في المراجع ومناقشتها وتوافق ذلك مع الواقع التاريخية والجغرافية. ولن يتطرق البحث إلى انماط بناء هذه القصور وسعتها ومكوناتها والمادة التي بنيت منها والزخارف والنقوش الموجودة... الخ.

بادية الشام

تشمل بادية الشام المنطقة الواقعة بين وادي نهر الفرات شرقاً وحوران والحواف الشرقية للجبال في سوريا والأردن غرباً، وبين منطقة حلب في سوريا شمالاً ومنطقة سكاكا-الجوف في شمال السعودية جنوباً.

وبذا تمتد غرب العراق وشمال السعودية، وشرق كل من الأردن وسوريا. وتبعد مساحتها نحو ٥٢ ألف كيلومتر مربع.

مظاهر السطح

بادية الشام هضبة يتراوح ارتفاعها من ٦٠٠-٢٠٠ متر عن سطح البحر، وانحدارها العام من الغرب إلى الشرق، ويفقسم

الأمطار	الفترة (م)		الأمطار	الفترة (م)	
	إلى	من		إلى	من
غزيرة الأمطار	١٤٦٠	١٤٢٧	غزيرة الأمطار	١٨٠	١
جافة	١٥٤٠	١٤٦٠	جافة	٣٩٠	١٨٠
غزيرة الأمطار	١٦٨٠	١٥٤٠	مطيرة	٤١٥	٣٩٠
جافة	١٧٠٨	١٦٨٠	شديدة الجفاف	٦٧٠	٤١٥
رطبة	١٨٣٨	١٧٠٨	غزيرة الأمطار	٩٢٥	٦٧٠
جافة	١٨٧٥	١٨٢٨	شديدة الجفاف	١١٠٠	٩٢٥
رطبة	١٩٠٠	١٨٧٥	غزيرة الأمطار	١٣١٠	١١٠٠
شديدة الجفاف	-	١٩٠٠	شديدة الجفاف	١٤٢٨	١٣١٠

٣- رُسخ الامويون وجودهم في بلاد الشام واعتبروا انفسهم جزءاً من سكانها، وبنوا علاقة وثيقة مع السكان.

غزيرة الأمطار كالتالي:

ملاحظات:

- ١- اهداف وأسباب بناء القصور الاموية في بادية الشام حدت المراجع الأهداف أو الأسباب التي من أجلها بنيت القصور الاموية في بادية الشام كالتالي:
 - ١- الحنين إلى حياة البدائية كما عاشها الآباء والأجداد.
 - ٢- حرم الإسلام الغزو بين القبائل، ومن ثم فان العودة إلى البدائية وممارسة الصيد بدلاً عن الغزوات التي كانت سائدة قبل الإسلام (اي في العصر الجاهلي).
 - ٣- اللجوء إلى البدائية لتلقي اللغة العربية الفصحى من سكانها لسلامة لغتهم.
 - ٤- كره الخلفاء الامويين جو ومناخ مدينة دمشق واوبيتها.
 - ٥- القلق والسلام من حياة المدينة والترف.
 - ٦- الاتصال والتواصل مع القبائل العربية المؤيدة للحكم الاموي.
 - ٧- اللهو والعبث والمجون، وممارسة محرمات في الإسلام بعيداً عن اعين الفقهاء والرقباء.
 - ٨- التقليد: تقليد آخرين بالإرتحال إلى البدائية، مثل: الامراء الغساسنة، سادات العرب في الجاهليّة.
 - ٩- العدل بين الزوجات باحلال كل واحدة في قصر بعيداً عن الآخريات.
 - ١٠- التعلّى عن السكان المحليين بالإبعاد عنهم إلى البدائية؟
 - ١١- بعض هذه القصور في مناطق للاستغلال الزراعي.
 - ١٢- بعض هذه القصور في محميات للحيوانات البرية.

ان القراءة الأولى لهذه الأهداف تبرز الملاحظات الآتية - بعض هذه الأهداف تناقض بعضها، مثل التواصل مع القبائل وتعلم أو تلقي اللغة العربية الفصحى والعدل بين الزوجات مع

- ١- تحديد غزارة الأمطار والجفاف بمعدل الأمطار في العام في المنطقة.
- ٢- قد تكون بعض السنوات جافة في الفترات الرطبة أو غزيرة الأمطار، وقد تكون بعض السنوات مطيرة في الفترات الجافة أو شديدة الجفاف.
- ٣- الفترة الاموية امتدت ما بين ٦٦١-٧٥٠ ميلادية، اي انها كانت ضمن الفترة غزيرة الأمطار، عدا أول ٩ سنوات كانت ضمن فترة شديدة الجفاف.
- ٤- تدهور الحياة الحيوانية والنباتية يتم تدريجياً في فترات الجفاف، خاصة الأشجار والشجيرات، كما ان استعادة الحياة الحيوانية والنباتية في الفترات الرطبة يمكن تدريجياً، وقد تفرض بعض انواع الحيوانات والنباتات في المنطقة بسبب الجفاف.

التوزيع الجغرافي للقصور الاموية في بادية الشام

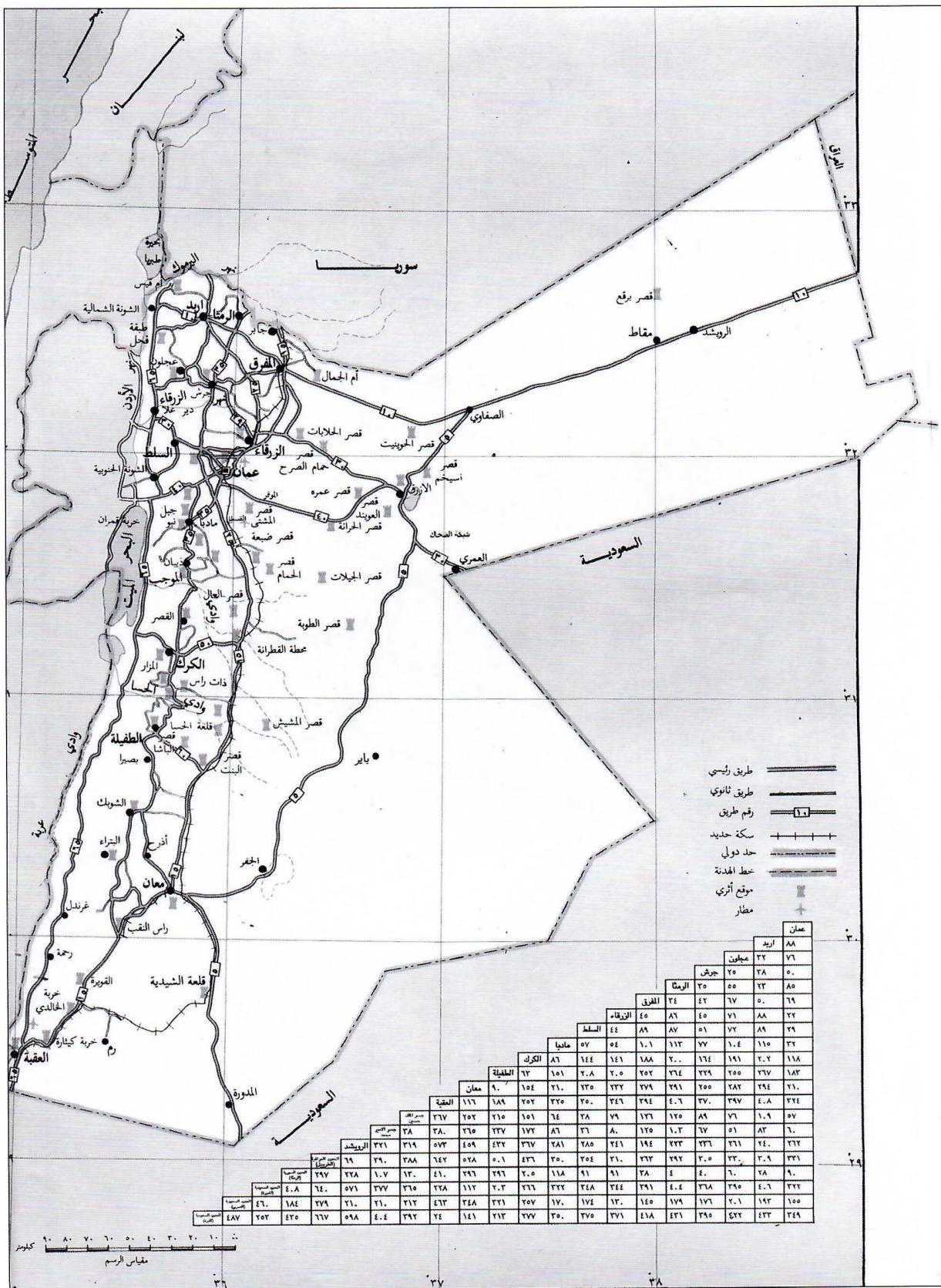
تركزت القصور الاموية في بادية الشام في الجانب الغربي والشمالي منها (الشكل ١، ٢) (الجدول ١). ويتبين من الخرائط ان القصور تتخذ شكل قوس أو هلال تتجه فتحته نحو الجنوب الشرقي، ويمتد طرفه الشمالي نحو الشرق أكثر من طرفه الجنوبي، كما أنها تواجدت في المنطقة المعروفة باسم الحمام، وخللت منطقة الحررة والوديان منها، اضافة إلى داخل الحدود السعودية والعراقية، اي تركزت في الأردن وسوريا، ويعود ذلك للأسباب التالية:

- ١- الظروف المناخية وما تبع ذلك من توفر الحياة الحيوانية والنباتية، اذ ان المناخ السائد هو المناخ شبه الصحراوي.
- ٢- قرب المنطقة من دمشق والمعارك العمرانية الأخرى والمناطق المعمورة بصفة عامة.

ابراهيم الزقرطي: القصور الاموية في بادية الشام



١. خارطة بلاد الشام.



٢. خارطة الاردن توضح موقع القصور وطرق المواصلات.

ابراهيم الزقرطي: القصور الاموية في بادية الشام

من جهة وقيس عيلان واحلافها من جهة اخرى، وكان سببها قيام البراض بن قيس بقتل عروة بن عتبة من كلاب، ولم تقم حرب بين اهل مكة وغيرها من القبائل في العصر الجاهلي. وقد نعمت مكة واهلها بالأمن نتيجة: - تقدير العرب للكعبة وحاجتهم إليها، ومن ثم ضرورة المحافظة على امن مكة ليتمكن الراغبين بالحج القيام بذلك بدون خوف أو تعرض للأذى. - تعرض القبيلة التي قد تغروا أو تهاجم مكة إلى غضب ومعداة القبائل الأخرى، لأنها بذلك تمس مقدسات القبائل وتعكر صفو الحج، عدا عن عدم تمكן افراد القبيلة المهاجمة الحج إلى مكة والا تعرضوا للانتقام من اهل مكة وغيرهم. - منعة اهل مكة، ويعزز هذا ابرام "حلف الفضول" الذي عقد في بيت عبدالله بن جدعان، حيث تعاقد وتعاهد اهل مكة على نصرة المظلوم في مكة، سواء كان من اهلها أو من دخلها من سائر الناس، وأن يعيدوا للمظلوم حقه. - احترام وتقدير القبائل العربية لأهل مكة كونهم حماة الكعبة والقيميين عليها. وعزز ذلك حادثة الفيل اي محاولة ابرهة الحبشي غزو مكة وفشلها في ذلك، وماحدث لجيشه، كما ورد في القرآن الكريم في سورة الفيل «ألم تر كيف فعل ربكم باصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وارسل عليهم طيراً ابابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول». - ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي اشارت إلى أمن مكة واهلها وهي: أ- الآية ١٢٥ من سورة البقرة
«...وَادْجَلْنَا لِلْبَيْتِ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ...» ب- الآية ١٢٦ من سورة البقرة
«...وَادْقَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّ أَجْعَلَ هَذَا الْبَلْدَ أَمْنًا وَأَرْزَقَ أَهْلَهُ مِنَ الْثَّمَرَاتِ...» ج- الآية ١٩١ من سورة البقرة (يخاطب المسلمين)
«...وَلَا تَقْاتِلُوهُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْاتِلُوكُمْ فِيهِ...» د- الآية ٩٧ من سورة آل عمران
«فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقْامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ أَمْنًا...» هـ- الآية ٣٥ من سورة ابراهيم
«وَادْقَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبَّ أَجْعَلَ هَذَا الْبَلْدَ أَمْنًا ...» وـ- الآية ٥٧ من سورة القصص
«...أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرْمًا أَمْنًا يَجْبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتٍ كُلَّ شَيْءٍ...» زـ- الآية ٦٧ من سورة العنكبوت
«أَوْلَمْ يَرُوا إِنَّا جَعَلْنَا حَرْمًا أَمْنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ...» حـ- الآية ٤ من سورة الفيل
«الَّذِي أَطْعَمْنَاهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنِهِمْ مِنْ خَوْفٍ» مما سبق يتضح أن اهل مكة (ومنهم بنو امية) عاشوا في أمن

الله و العبث.

- بعض هذه الأهداف تتناقض مع الواقع الجغرافية، مثل كره مناخ دمشق والاستغلال الزراعي.

- بعض هذه الأهداف تتناقض مع الواقع التاريخية، مثل الحنين إلى الباردية والصيد كبديل للغزو والتعالي عن السكان المحليين.

- تعود هذه التناقضات اما إلى عدم المعرفة الكافية بالحضارة العربية والإسلامية وبتاريخ المنطقة وجغرافيتها، أو أن التشويه كان مقصوداً خاصةً تشویه صورة بنی امية وبالذات العرب عموماً.

مناقشة تفصيلية للاهداف

١. الحنين إلى الباردية كما عاشها الأباء والأجداد

أ. بنو امية من قريش وهم ابا عن جد من سكان مدينة مكة المكرمة، ولم يسكنوا الباردية او يرحلوا اليها وبها، لا في زمن الجahليه ولا الإسلام، ومن ثم لم يمارسوا حياة التنقل والإرتحال البتة. وهم من ارستقراطية مكة ومن وجهائها وتجارها وأثريائها البارزين، وممن اخذ بسباب الحضارة والمدنية، فهم اهل «مدر» وليسوا اهل «وبر» أي حضرا وليسوا بدوا.

وابو سفيان بن حرب جد الخلفاء الامويين والد معاوية بن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية كان يرأس قافلة قريش القادمة من بلاد الشام والتي حاول المسلمون اعتراضها، ولكنه غير مسييرها عن طريق التجارة المعتمد عندما عرف أن المسلمين يتربصون بالقافلة، ومن ثم سلمت القافلة، ونتج عن هذا الاعتراض للقافلة «معركة بدر الكبرى» عام ٢ هـ الموافق ٦٢٤.

وكان لقريش رحلتان تجاريتان، رحلة الشتاء إلى اليمين وذلك لأن أمطار اليمين وعسير تهطل صيفاً كونها تتبع نظام الأمطار الموسمية، إضافة إلى اعتدال الحرارة. ورحلة الصيف إلى بلاد الشام كون الأمطار تهطل في بلاد الشام في فصل الشتاء (واواخر الخريف وأواخر الربيع) والحرارة معتدلة.

ب. البداوـة وحياة التنقل والإرتحـال نـمـط حـيـاة قـابـلـ للتـغـيـر حـسـبـ الـظـرـوفـ وـالـتـماـزـجـ الـحـضـارـيـ وـالـثـقـافـيـ وـالـتـطـوـرـ الـإـقـتصـاديـ وـلـيـسـ جـيـنـاتـ يـورـثـاـ الأـبـاءـ لـلـأـبـنـاءـ.

٢. حـرـمـ الـإـسـلـامـ الـغـزوـ بـيـنـ الـقـبـائـلـ وـالـعـودـةـ إـلـىـ الـبـادـيـةـ وـمـمارـسـةـ الصـيدـ بـدـيـلـ عـنـ الـغـزوـاتـ الـتـيـ كـانـتـ سـائـدـةـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ (ـايـ فـيـ الـعـصـرـ الجـاهـلـيـ)

١. الغزو: عاشت مكة واهلها في أمن وسلام، ولم تتعرض المدينة للغزو او هجمات قبل الإسلام، وحاول ابرهة الحبشي (ابرهة الاشرم) مهاجمتها ولم يفلح. وفي عهد الإسلام تعرضت مكة إلى هجوم من قبل الحاجاج بن يوسف الثقفي للقضاء على ثورة الزبير بن العوام ٦٩٣/٥٧٣، وهاجمهما القرامطة وأخذوا الحجر الأسود وقتلوا حاججاً وغيرهم عام ٩٣٧/٥٢٩، وبإثناء ما عرف «بحرب الفجار» عام ٥٩٠ بين قريش وكنانة

المنطقة	القصر	باني القصر أو نازله	فترة خلافته (ميلادية)
البادية الأردنية	عمره	الوليد بن عبد الملك	٧١٤ - ٧٠٦
	برقع	الوليد بن عبد الملك	٧١٤ - ٧٠٦
	الحرانة	الوليد بن عبد الملك	٧١٤ - ٧٠٦
	القسطل	يزيد بن عبد الملك	٧٢٣ - ٧١٩
	الموقر	يزيد بن عبد الملك	٧٢٣ - ٧١٩
	الحلبات	هشام بن عبد الملك	٧٤٣ - ٧٢٣
	حمام الصرح	هشام بن عبد الملك	٧٤٣ - ٧٢٣
	الأزرق	الوليد بن يزيد	٧٤٤ - ٧٤٣
	باير	الوليد بن يزيد	٧٤٤ - ٧٤٣
	زيزباء	الوليد بن يزيد	٧٤٤ - ٧٤٣
	شبكة الصحاك	الوليد بن يزيد	٧٤٤ - ٧٤٣
	الطوبية	الوليد بن يزيد	٧٤٤ - ٧٤٣
	المشتى	الوليد بن يزيد	٧٤٤ - ٧٤٣
	أسيس	الوليد بن عبد الملك	٧١٤ - ٧٠٦
البادية السورية	خ. البيضاء	الوليد بن عبد الملك	٧١٤ - ٧٠٦
	البخاراء	يزيد بن عبد الملك	٧٢٣ - ٧١٩
	تدمر	يزيد بن عبد الملك	٧٢٣ - ٧١٩
	الحائز الشرقي	هشام بن عبد الملك	٧٤٣ - ٧٢٣
	الحائز الغربي	هشام بن عبد الملك	٧٤٣ - ٧٢٣
	حوارين	هشام بن عبد الملك	٧٤٣ - ٧٢٣
	الرصافة	هشام بن عبد الملك	٧٤٣ - ٧٢٣
	الزيتونة	هشام بن عبد الملك	٧٤٣ - ٧٢٣
	الصواب	هشام بن عبد الملك	٧٤٣ - ٧٢٣
	الملح	هشام بن عبد الملك	٧٤٣ - ٧٢٣
	القربيات	الوليد بن يزيد	٧٤٤ - ٧٤٣

الجدول رقم (١) : القصور الاموية في بادية الشام

٢. الصيد: مارس الانسان الصيد والقنص منذ القدم، اذا كان ذلك احد مصادر الغذاء، ومع التقدم الحضاري والمعرفي اصبح الصيد والقنص يمارس من قبل فئتين: الفقراء والمحتجون

وآمان، لم يغزوا ولم يغزوا، ولم ت تعرض قواقلهم التجارية للإعتراض أو السلب (عدا ما ذكر سابقاً)، ومن ثم لم تكن ممارسة الصيد من قبل بنو امية بديلاً عن الغزو في العصر الجاهلي.

ابراهيم الزقرطي: القصور الاموية في بادية الشام

يمكن القول انه يتعدى ان لم يكن يستحيل حدوثهما فالتنقل مع القبائل لا يوفر البيئة الملائمة لتنشئة الامراء واقامة القبائل حول القصور الاموية متعدى لعدم توفر البيئة الملائمة لمتطلبات نمط الحياة في البادية، عدا ان ذلك سيقيد تحركات وسلوك الخلفاء والامراء، ثم ان ذلك لم يرد في المصادر التاريخية وغيرها.

٤. كره الخلفاء والامراء الامويين لجو وanax مدينة دمشق وأوبئتها

تقع مدينة دمشق ضمن الاقليم المناخي الجاف (شبه الصحراوي) وهو مناخ حار جاف صيفاً، بارد شتاءً، معتدل في الربيع والخريف، والرطوبة الجوية منخفضة. وهذا المناخ افضل بكثير من المناخ السائد في الجزيرة العربية بإستثناء منطقة عسير والطائف في السعودية وبعض مناطق اليمن وعمان، ودمشق ليست من مناطق الأوبئة او التي تتكرر بها الأوبئة ولو كانت كذلك لما اتخذت المقر الإداري الرئيس في العهد الروماني وفي عهد الخلفاء الراشدين، ثم عاصمة الدولة الاموية، خاصة وأن البادئ كثيرة في بلاد الشام، ودمشق من اقدم المدن والمراکز الادارية والعواصم في العالم.

٥. القلق والسلام من حياة المدينة والترف

هذا مقبول، فالإنسان بطبيعة ملول يحب التغيير والترفيه عن النفس، وهذا ما يفعله الملوك والامراء والحكام والأثرياء بقيامهم برحلات استجمام منوعة إلى مناطق غير مناطق سكناهم، وكثير منهم يملكون قصوراً أو بيوتاً في مناطق الاستجمام، وخروج الناس في الأردن إلى مناطق الترفة كالاغوار في الشتاء والمرتفعات في الصيف في أيام العطل والأعياد مثال على هذا السلوك.

٦. الاتصال والتواصل مع القبائل العربية المؤيدة للحكم الاموي

التواصل مع القبائل المؤيدة والموالية لبني امية المتواجدة في بادية الشام يفترض أن يتم عن طريق:
أ- قيام الخلفاء والامراء الامويين بزيارة رؤساء وزعماء هذه القبائل في معارضهم، وهذا لا يحتاج إلى وجود القصور في البادية.

ب- استقدام رؤساء وزعماء القبائل إلى القصور في البادية هو أمر قد يحدث، ولكنه ليس مبرراً منطقياً لبنائها، ويمكن استقدامهم إلى دمشق.

ج- يتعدى اقامة القبائل حول القصور كما ورد سابقاً.

٧. اللهو والعبث والمجون وممارسة محركات في الإسلام بعيداً عن اعين الفقهاء والرقباء

أ- تشويه صورة بنى امية بالذات، والعباسيين والعرب عموماً ساهم

ويمارسونه من أجل الغذاء والنواحي المادية (وقليل منهم هواية)، والأغنياء والمقدرون منهم والحكام والامراء، يمارسونه كهواية من أجل المتعة وكتنوع من الرياضة والمران والغامرة، ويتجلى ذلك في الفروسية واستعمال القوس والرمح، والشجاعة في منازل الوحش الكاسرة، عدا عن اسكتشاف مناطق جديدة والتعرف عليها. ومازال الامر كذلك في عالمنا المعاصر مثل قيام ملوك وامراء وحكام وأثرياء برحلات صيد واستجمام في بلادهم أو خارجها، وتستخدم البنادق بدلاً من القوس، والسيارات بدلاً من الخيول.

وممارسة الصيد في البادية يتبع استخدام الخيل في المطاردة اما في المناطق الجبلية فيصعب استخدام الخيل لوعورتها وإمكانية تواري الفرائس بسهولة بين الصخور والأشجار وفي الوديان. وبين القصور في البادية موطن الصيد هي لإقامة وتوفير سبل الراحة للخلفاء والامراء وحاشياتهم.

وكانت بادية الشام غنية بالحيوانات مثل الأسد الآسيوي والنمر والفهد والذئب وأبن آوى والشغال من الحيوانات المفترسة، والإيل والوعول والارانب والحمار الوحشي والملها والغزال والثور والخنزير البري من الحيوانات العاشبة، والنعام والطاووس والبط والحاربي والقط واليمام والنسر والعقاب من الطيور.

وتشير المراجع ان معظم هذه الحيوانات انقرضت في القرن الخامس عشر ومع ذلك وجدت حيوانات فرادى مثل الأسد الآسيوي وجد في منطقة حلب عام ١٩٢٠م، وقتل اخر اثنى فهد مع صغيرها في الأردن صيف ١٩٦٢ ، وقتل عمال نفط في شمال السعودية اربعة فهود عام ١٩٥٠ ، وصدمت سيارة فهد في غرب العراق عام ١٩٤٨ ، واخر مرة شوهد الأيل الأسمري في البادية عام ١٩٢٢ والنعامة عام ١٩٣٢ .

٣. اللجوء إلى البادية لتلقي اللغة العربية الفصحى من سكانها لسلامة لغتهم

أ. قبائل بادية الشام معظمها من غسان وكلب وبعض تغلب، وهي قبائل لم يدها علماء اللغة العربية من القبائل ذات اللغة العربية المتأثر لاختلاطها بالجوار من غير العرب. وافق القبائل حسب رأيهم: قيس وتميم واسد بدرجة رئيسة، وهذيل وبعض كاناثة وبعض الطائين بدرجة ثانية، وجميعها تسكن في قلب الجزيرة العربية بعيداً عن غير العرب.

ب. تلقي اللغة العربية يكون عادة في الصغر وليس في سن الشباب أو الكهولة، وبذل فالخلفاء الامويون ليسوا في عمر يناسب تلقي اللغة العربية.

ج- اذا افترضنا جدلاً (مع التأكيد على جدلاً) ان الخلفاء الامويين ارادوا تلقي اللغة العربية هم او اولادهم من قبائل بادية الشام، فان ذلك يتطلب مخالطة مستمرة للقبائل، اي الإقامة معهم في معارضهم او تواجدهم عند موقع القصور الاموية، وهم امران

سيقابله تخصيص قصر لكل زوجة في مناطق بلاد الشام الأخرى.

٢. اذا اخذ بالإعتبار ان الوصول إلى القصور في الbadia والعودة منها يحتاج إلى أيام بل واسبوع بالنسبة لبعضها لبعضها عن دمشق؛ فان ذلك لا يمكن الخليفة من اصطحاب أكثر من زوجة ثم ايصال كل واحدة إلى قصرها، ثم المكوث فترة مع هذه و أخرى مع تلك. وأما اذا افترض انه كان يأخذ معه زوجة في كل رحلة إلى قصرها المفترض فان ذلك يتطلب ان يقوم بذلك عدة مرات في السنة وربما بعد زوجاته، وكون مثل هذه الرحلات تتم في الربيع على الأكثر وبعض الخريف لظروف الbadia المناخية فان ذلك سيؤدي إلى سفر شبه مستمر لل الخليفة وبالتالي تغيب عن دار الخليفة في دمشق، مما يؤثر على تصريف امور الدولة، عدا عن الإجهاد والإرهاق.

٣. يتناقض اصطحاب الخليفة لزوجته او زوجاته إلى قصور الbadia مع ما ذكر من ان من اهداف بناء القصور في الbadia اللهو والعبث والمجون.

٤. القول بأن للزوجة الواحدة قصراً بعينه قريباً من مضارب اهلها في الbadia؛ يعني ان للخلفاء زوجات من سكان الbadia الراتعين عند القصور، وان الزوجات يعشن في القصور وفي مضارب اهلهن بانتظار قدوم الخليفة بين حين وآخر، وهذا امر لم يرد في المصادر، ويمكن القول انه بعيد الإحتمال جداً.

١٠. التعالي عن السكان المحليين بالإبعاد عنهم إلى الbadia تعرّبت بلاد الشام قبل قرون من الفتح الإسلامي، وتوزعت القبائل العربية قبل الفتح الإسلامي كالتالي:

- غسان: منطقة دمشق وحوران.
- قضاة: البلقاء وجنوب شرق الأردن.
- تنوخ: منطقة قنسرين وحلب.
- سليج وبعض طيء: جوار تنوخ.
- لخم وجذام: جنوب الأردن وجنوب فلسطين.
- كلب: منطقة تدمر وجنوب الbadia.
- تغلب وربيعة: الجزيرة الفراتية.

واثناء الفتح الإسلامي وبعد قدمت قبائل جديدة واستقرت في بلاد الشام في مناطق استقرار القبائل السابقة، وفي مناطق مختلفة من بلاد الشام بحيث شملت معظم ان لم يكن كل بلاد الشام، ومن هذه القبائل: حمير، مذحج، همدان، طيء، الاخذ، كندة، قيس، اسد، تميم، كنانة وغيرها.

ومن ثم فسكن بلاد الشام جلهم من العرب، ومن قبائل عربية معروفة، وقليل من السكان من اعراق أخرى، وبالتالي لن يتعالى بنو أمية عن سكان هم من بني جلدتهم.

به كثير من الكتاب لأسباب عده منها:

١- دينية: وسببها الخلاف بين علي بن ابي طالب وعاوية بن ابي سفيان، وما تبع ذلك من احداث، وكرسها مقتل الحسين بن علي على يد جيش يزيد بن معاوية في كربلا عام ٦٨١ هـ.

٢- سياسية: الصراع العربي - العربي على الحكم وخاصة الصراع الاموي العباسي.

٣- حضارية: الصراع الحضاري بين العرب وغيرهم كالفرس والتراك والروم ... الخ.

٤- بروز الحس القومي في البلاد التي فتحها العرب المسلمين. وخير مثال على تشويه صورة العرب والخلفاء كتاب "الاغاني" لابي فرج الاصفهاني، والهدف منه واضح لكل فكر محابي.

ب- يمكن للخلفاء والامراء الامويين ممارسة ما يرغبون به في قصورهم في دمشق أو القصور الأخرى المنتشرة في بلاد الشام في مناطق غير الbadia، وفي جميع اوقات السنة، ودون الحاجة إلى سفر مرهق إلى الbadia واقتصار ذلك على اوقات محددة من السنة. ثم أن اللهو والعبث والمجون يتطلب اصطحاب ادواته، من خمور وجواري ومحفلين ... الخ والسفر عدة أيام للوصول إلى القصور ركوباً على الخيل والابل وغيرها من الدواب، ومواكب بهذه لا يمكن حجبها عن اعين الناس سواء في دمشق أو الطرق المسلوكة عادة بالقوافل والمسافرين.

ج- كيف سيمارس الخلفاء والامراء الامويون اللهو والعبث والمجون في مناطق تواجد القبائل المؤيدة لهم (أو غير المؤيدة لهم)، أن ذلك يتعارض ويتنافى بشدة مع اخلاقيات وسلوكيات القبائل خاصة بعد أن تمكن الإسلام في قلوبهم.

د- يصعب ان يكن يستحيل اخفاء سلوكيات اللهو والعبث والمجون عن الناس، اذ قد تُخفى عنهم لفترة قصيرة ولكنها عاجلاً أم اجلًا سيعرفها القاصي والداني، فالمثل يقول "قيل ما الذي لا يعرف، قيل الذي لا يحدث".

٨. التقليد

تقليد اخرين بالإرتحال إلى الbadia مثل: الامراء الغسانيون، سادات العرب في الجاهلية.

الإرتحال والسفر وارتياح مناطق جديدة وممارسة الصيد سلوكيات مارسها الإنسان منذ القدم، وهي مستمرة للان، اذ هي من طبيعة وهوائيات الإنسان في كل زمان ومكان وقد ذكر ذلك سابقاً.

٩. العدل بين الزوجات باحلال كل واحدة في قصر بعيداً عن الآخريات

يتناقض ذلك مع النطق الواقع الجغرافي للأسباب التالية:

١. يوجد قصور اموية في badia الشام ومناطق أخرى من بلاد الشام كما ورد سابقاً، وتخصيص قصر لكل زوجة في badia

ابراهيم الزقرطي: القصور الاموية في بادية الشام



٢. شجرة القيعاوية/ شجرة بطم - محمية الأزرق.

كاثرين، وادي الريان، وفي عمان: المها العربي ، السلاحف، جبل سمحان. ويوجد محميات تحتوي على أحافير من عصور حيوولوجية مثل: وادي الحيتان في الفيوم والغابة الحجرية في العباسية في مصر. وإنشاء نوع من المحميات عند بعض القصور الاموية وخاصة فيما عرف بالحائز كان من أجل جلب بعض الحيوانات البرية إليها، وحضارها بها كي يتم اطلاقها خارج المحمية ومن ثم مطاردتها وصيدها، لأن المساحة ضمن سور الحائز محدودة نوعاً ما لا تسمح بالطاردة ركوباً على الخيل، خاصة وإن الحائز زرع بنباتات مختلفة لتوفير الغذاء للحيوانات العاشبة التي بدورها غذاء للحيوانات المفترسة الموجودة في الحائز، وهذا يفسر السبب في وجود منشآت الري من قنوات وسدود.

وقد تم حشر الحيوانات البرية في الحائز بسبب تناقصها والذي يعود إلى:

١. الأسراف في الصيد.

٢. الرعي الجائر الذي أدى إلى تناقص غذاء الحيوانات البرية العاشبة.

٣. قطع الاشجار والشجيرات لاستخدامها كوقود وعلف.

٤. قدوم بعض القبائل العربية بعد الفتح إلى بادية الشام مما شكل ضغطاً على مواردها.

٥. التغيرات المناخية كما ورد سابقاً.

الخلاصة

ما سبق يمكن القول بأن القصور الاموية في بادية الشام بنيت للإقامة بها من أجل:

١- الاستجمام والترويج عن النفس بعيداً عن حياة المدن.

٢- الصيد والقنص وممارسة الفروسية.

٣- بعضها في مناطق محميات للحيوانات البرية.

ابراهيم الزقرطي
جائزة الحسن للشباب
zoqurti@yahoo.com

١١. بعض هذه القصور في مناطق للاستغلال الزراعي (اي مزارع)

تقوم الزراعة في منطقة ما اذا توفرت مقوماتها وهي المياه، التربة الصالحة، المناخ الملائم، اليدوي العاملة، رأس المال والاسواق...الخ، كأي مشروع اقتصادي.

والزراعة اما ان تكون للاستثمار اي بيع المنتوج وتحقيق الربح أو للاستجمام اي قضاء اوقات الفراغ بها للترويج عن النفس، ومن ثم لا تهدف إلى الربح المادي، وقد تشمل الإثنين معاً أحياناً.

تتوفر مقومات مزارع الاستثمار والاستجمام في المناطق الغربية من بلاد الشام من سهول ساحلية وداخلية، وفي المرتفعات والاغوار، وتنوع المناخ يسمح بزراعة أنواع شتى من المحاصيل والأشجار الشمرة، ومن هذه المناطق: سهل البقاع، غوطة دمشق (احد الجنان الاربع كما وصفها الاقدمون)، سهول حوران، سهول الاغوار، سهل عكار، سهل عكا، سهل يافا والرملة، سهول الكرك وغيرها كثير، فلو اراد بنو امية مزارع للاستثمار أو الاستجمام لاختاروها في المناطق المذكورة هذه، فعدا عن صلاحيتها فهي قريبة من دمشق، خاصة وأن اراضي شاسعة من بلاد الشام آلت ملكيتها إلى المسلمين، ووزع الكثير منها بين القبائل، وتملك بنو امية مساحات واسعة منها في مناطق مختلفة، اذ كان لمعاوية بن أبي سفيان عدة قرى قرب دمشق وعسقلان، ولعتبة بن أبي سفيان قرية السطح قرب دمشق، ولهشام بن عبد الملك دورين وقرها وقرى سلعوس وكفر جداً قرب الراها. وتذكر المصادر ان جل ملاك الاراضي كانوا من الامراء وبعض زعماء القبائل (الدوري ١٩٧٤). من كل ذلك يستنتج ان الخلفاء والامراء الامويين امتلكوا مساحات واسعة من الاراضي بها كل مقومات الزراعة ، لذا هم ليسوا بحاجة إلى الذهاب إلى مناطق معزولة في الbadية لا توفر بها مقومات الزراعة بدرجة كافية وبعيدة عن دمشق لإقامة مزارع بها.

وسيوضح سبب وجود مخلفات اثرية تشير إلى وجود نوع من الاستغلال الزراعي عند بعض القصور في البند اللاحق (١٢).

١٢. بعض هذه القصور في مناطق «محميات للحيوان»

المحمية الطبيعية: منطقة جغرافية محددة المساحة، تكاد لا توجد دولة في العالم الان لا يوجد بها محمية او محميات طبيعية، ويفاوت عدد ومساحة المحميات داخل الدولة نفسها ومن دولة إلى اخرى تبعاً لمساحة الدولة والتنوع البيئي، وتكون المحمية عادة تحت اشراف الحكومة، وتحتوي على نباتات أو حيوانات أو كليهما معاً مهددة بالانقراض، مما يتطلب الحفاظ عليها وحمايتها من التعديات أو التلوث. وقد تزرع المحميات بنباتات أو يجلب إليها حيوانات كانت قد انقرضت من منطقتها، ويعنى مزاولة اي نشاطات في المحمية قد تؤثر على ما بها من نبات أو حيوان.

ويوجد في الأردن على سبيل المثال محميات: الأزرق (الشكل ٣)، الموجب، عجلون، الشومري وضانا، وفي مصر: رأس محمد، سانت

المراجع

- الزقرطي، ابراهيم موسى ١٩٧٨ **اثر المناخ على الزراعة في الضفة الشرقية للاردن.** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.
- البلاذري، احمد بن يحيى ١٩٩٥ **اطلس الوطن العربي، الجزء الطبيعي، القاهرة.**
- قطب، سيد ١٩٨٨ **فتوح البلدان.** مكتبة الهلال: بيروت.
- الدوري، عبد العزيز ١٩٨٦ **في ظلال القرآن.** دار العلم للطباعة والنشر: جدة.
- عادل، عبد القادر ١٩٧٤ **العرب والارض في بلاد الشام.** المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ١٩٧٤/٤/٢٥-٢٠ عمان، الدار المتحدة للنشر: بيروت.
- جيولوجية الاردن. مكتبة النهضة الاسلامية، عمان. ١٩٨٢
- جيولوجية البحر الميت. دار الارقم، عمان. ١٩٨٥
- بيشة، غازي ١٩٧٤ **القصور الاموية في الاردن.** وزارة السياحة والاثار، عمان.
- طوقان، فواز ١٩٧٤ **الحائر في العمارة الاموية.** المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ١٩٧٤/٤/٢٥-٢٠ عمان، الدار المتحدة للنشر، بيروت.
- العايدي ، محمود ١٩٥٨ **القصور الاموية ، الشركة الصناعية: عمان .**
- المركز الجغرافي الملكي الاردني ٢٠٠٤ **اطلس الاردن و العالم ، عمان**
- الطائي، مني احمد ٢٠٠٤ **المعالم الاثرية في المملكة الاردنية الهاشمية : عمان**
- الروسان، نايف و الزقرطي، ابراهيم و العنائزه، علي ٢٠٠٥ **جغرافية الاردن ، ط ٢،دار الشروق ، عمان .**
- شحادة، نعمان ١٩٩١ **مناخ الاردن ، دار البشير ، عمان .**
- الحادي بحث في القصور الاموية في البداءة. وزارة الثقافة والشباب، عمان. ١٩٧٩
- القصور الصحراوية لماذا ابنتها. مديرية الآثار المجلد ٤ : ١٤ -١٩٦٩ . عمان. ١٩
- زيادين، فوزي عمان الكبرى، اثار وحضاره. امانة عمان الكبرى، عمان. القران الكريم ١٩٦٩ المساحة العسكرية السورية: خريطة سوريا لبنان ١ : ٧٥٠٠٠ . دمشق.
- عبد الباقى، محمد فؤاد ١٩٧٠ **المعجم المفهرس للفاظ القرآن الكريم ، دار احياء التراث العربي، بيروت .**